

#قصة نجاح\_سودانية رجل الاعمال اسامة داؤود يُعدُّ السيد أسامة داؤود عبداللطيف أحد أبرز رجال الأعمال القلائل الذين يُشكِّلُون ملامح اقتصادنا الحديث. كما أنه يُعدُّ نموذجاً لرجال الأعمال الناجحين الذين يوظفون ثرواتهم لخدمة شعوبهم وأوطانهم وهم يجابهون الكثير من التحديات والعقبات التي تحوُّلُ بينهم وتحقيق طموحاتهم الوطنية الكبرى. وفي هذا المقال سأسلط الضوء على سمات النجاح التي يتمتع بها الرجل. وسأتناول إنجازاته المادية التي تثبت ذلك النجاح. وسأستشهد ببعض مقولاته الموثقة في الحوار الصحفي الوحيد الذي أجرته معه الصحفية المتميزة صباح موسى. وسأعتمد كثيراً على شهادات أحد أقاربي الذين أثق فيهم كثيراً وهو ممن يعملون في مجموعة دال. وسأحاول جاهداً أن أستدل بالأرقام كلما وجدتُ إلى ذلك سبيلاً. ثم الخرطوم الأميركية الوسطى، ثم الخرطوم الثانوية، وتخرج في كلية إدارة الأعمال بجامعة مانشستر بالمملكة المتحدة 1975م، وبالرغم من أنه درَسَ في إحدى أكبر الجامعات الأوروبية إلا أنه يقول عن نفسه: "أنا تعلمت أكثر في السودان. والتجربة العملية أهم بكثير من الدراسة فهي التي تعلم أكثر". وقد بدأ حياته العملية في سنة 1975م -أي بعد تخرجه مباشرة- حيث عمِلَ مندوباً للمبيعات في شركة التراكتورات السودانية التي أسسها والده داؤود عبد اللطيف رجل الأعمال المعروف. وصار أسامة بعد ذلك مديراً للمبيعات بالشركة. وفي العام 1980م صار مديراً عاماً لشركة التراكتورات السودانية. ثم رئيساً لمجلس إدارتها 1989م. وكابو، وشركة الهواء السائل السودانية، ومدارس كيكس الدولية. وترجع أسباب هذا النجاح إلى عوامل كثيرة أهمها الأفق الواسع الذي يتمتع به قائد المجموعة أسامة داؤود الذي أفاد كثيراً من دراسته الأوروبية مما أتاح له استقدام الكوادر الأوروبية لتسانده في إدارة أعماله. إضافة إلى نظام العمل الواضح الذي تعمل به تلك الشركات. وعن ذلك يقول أسامة داؤود: "إنه يحب العمل في فريق ونظام (سيسستم) ولا يتدخل في قرارات مدرائه. ويوفر البيئة الجاذبة لموظفيه". ويقول الأستاذ محمد الشفيع مسؤول الاتصال الخارجي بمجموعة دال: "أنا أعمل مع السيد أسامة داؤود لأكثر من عشر سنوات، وأشهد أنه لم يتدخل في عملي يوماً، ولم يُرسل إليَّ شخصاً يريد توظيفه فالفرصة لديه للمؤهل والأكفأ بعيداً عن الوساطة والمحسوبية" وقد ساهمت كل تلك العوامل في تحقيق هذا النجاح ولكن العامل الحاسم والمهم يرجع إلى شخصية أسامة داؤود المُحبَّة للعمل حباً شديداً. فقد كانت أمنيته منذ صغره أن يصير رجل أعمال. وفي سبيل تحقيق تلك الأمنية درس إدارة الأعمال. وما لبث أن التحق بالعمل بعد تخرجه مباشرة. بل عاد إلى بلاده وهو في ريعان شبابه وانخرط في العمل منذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا. فحياته كلها عمل دعوب. ووقته كله لتطوير عمله. وفي ذلك يقول عنه محمد الشفيع مسؤول الاتصال الخارجي بالمجموعة: "أنا أشفق على أسامة جداً؛ فليس لديه وقت لنفسه، معظم وقته في عمل مرهق لتوفير احتياجات المواطن الضرورية ودعمًا لاقتصاد الوطن" فأسامة لا يعرف العطلات وأوقات الفراغ وقد ذكر بنفسه أنه ظل يعمل 14 ساعة يومياً منذ تخرجه سنة 1975م. وقد كرَّسَ أسامة داؤود كل تلك الساعات للاستثمار والصناعة. ولم يشغل نفسه بالسياسة والإعلام وغير ذلك من النشاطات التي تصرفه عن أداء عمله. ويقول في ذلك: "أنا أفهم في الصناعة والاستثمار. ولا أفهم في السياسة ولا أجيدها ولا أشغل نفسي بها" ويقول أيضاً: "أنا عازف عن الظهور في وسائل الإعلام. ولم أجر حواراً من قبل". كل هذه السمات الصارمة شكلت شخصية أسامة داؤود الإدارية وجعلت العمل والاستثمار من أهم أولوياته. أما عن شخصيته الاجتماعية فنلخصها في شهادة أحد أقاربي الذين يعملون في مجموعته حيث يقول عنه: "أسامة رجل بسيط جداً يتمتع بأدب عالٍ وتهذيب شديد في حديثه وتعامله مع الآخرين. وهو مشارك في المناسبات الاجتماعية ومن فرط هدوئه لا يتعرف الناس على شخصيته في كثير من تلك المناسبات. وهو يظهر بملابس عادية ويقود سيارته بنفسه من غير أية حراسة شخصية". وأسامة داؤود لا يتباهى بنجاحاته الباهرة بل يعتبرها مجرد تجربة لم تكتمل بعد. فعندما طلبوا منه تلخيص تلك التجربة في كلمات أجاب قائلاً: "عندما أتم الـ 65 وأطلع معاش أعدكم بذلك". وسألوه في إحدى المرات عن تجربته في إنتاج الألبان وكان وقتئذٍ يملك 50 بقرة لإنتاج اللبن. قال: "ارجعوا لي بعد 20 عاماً حتى أستطيع الرد وتكون تجربة حقيقية". فهو -كما ذكرنا- لا يحب الظهور في الإعلام. ولا يحب السياسة. ولذلك ليس مستغرباً أن يكتفي بالصمت حيال تقارير موقع ويكيلكس الشهير الذي نشرَ وثائق عن اجتماع أسامة داؤود بالقائم بالأعمال الأمريكي ألبرتو فرناندوز يناير 2008م. وحسب الموقع فإن أسامة قد انتقد الأداء الحكومي وضعف وزرائها وقال: "إن الكثيرين يشعرون بضرورة زهاب الحكومة لأنه من غير التغيير فليس هنالك أمل" "A lot of people feel it is time for this government to go. Without change there is no hope". وقد ترجمت الصحف السودانية ذلك التقرير ونشرته ليتناوله الصحفيون بالنقد والتحليل والاتهامات الخطيرة. أمَّا أسامة داؤود فلم يُحرِّك ساكناً ليدافع عن نفسه وينفي تلك الاتهامات. بل اكتفى بالصمت والتركيز في إنجاز أعماله وكأنَّ الأمر لا يعنيه في شيء. ويدل ذلك على أن الرجل لا يميل إلى الجدل الذي لا طائل من ورائه. بل يحب أن يرد على الانتقادات من خلال إنجازاته. وفي ذلك يقول محمد الشفيع مسؤول الاتصال

في مجموعة دال: "إن أسامة وإخوته خجولون ويحبون أن يظهروا للمجتمع من خلال أعمالهم وليس من خلال أقوالهم، وهذا السلوك يعمل لأسامة مشاكل" فالبعض يفسرون ذلك على أنه نوع من التعالي والغرور. ومن الجوانب المشرقة في شخصية أسامة سعيه لأعمال الخير ومساعدة المحتاجين. وخير ما يمكن أن نستشهد به من أعماله الخيرية مدينة داؤود عبداللطيف لسكن الطالبات. تلك المدينة السكنية العملاقة التي تقف شامخة كالطود في العمارات شارع 25 مربع 10 شرق الامتداد. وتتكون تلك المدينة السكنية من برجين يضم كل برج 9 طوابق تحتوي على 180 شقة تستوعب أكثر من 800 طالبة جامعية. وتعتبر تلك المدينة السكنية من أرقى داخلات الطالبات في السودان. 000.000 جنيه. أي (21مليار بالقديم) دفعها أسامة داؤود وإخوته من حر مالهم وأشرفوا على تلك المدينة حتى اكتمال بنائها وافتتاحها رسمياً على يد رئيس الجمهورية. وإذا كان الرجل ينظر إلى المال هذه النظرة الوطنية فليس مستغرباً منه أن يساهم مساهمة كبرى في أُمْنِنَا الغذائي مُحَافِظاً على اقتصادنا الوطني. فشركات (سيقا) هي المسؤول الأول عن توفير الخبز للبلاد. وطوال السنوات الأخيرة ظل الخبز مستقراً في أسعاره. وقد ظل كذلك رغم تضاعف أسعار السلع الاستهلاكية الأخرى. ورغم تضاعف أسعار الدولار وارتفاع أسعار القمح عالمياً. ومع كل ذلك لم نشهد ندرة خطيرة في الخبز طوال السنوات الأخيرة. -وفي تقديري الشخصي- أن رفع الدعم عن المحروقات قد أثر كثيراً في تكلفة إنتاج الدقيق. فقد أثر مباشرة في زيادة تكلفة الترحيل. وأثر تأثيراً غير مباشراً في زيادة تكلفة العمالة. ولكن لأن الحكومة دائماً تلجأ لسياسات التخدير والمراوغة السياسية فإنها تنكر الحقائق الاقتصادية وتسعى لحل المشكلة سياسياً وأمنياً. ومثل هذه السياسات الفاشلة لن تصمد كثيراً. فها هم أصحاب المخازن قد قلصوا أوزان الخبز قبل أن يزداد سعر الدقيق. وها هي الحكومة قد بدأت تهين المواطن لتقبل الزيادات القادمة. فبالأمس القريب يخرج علينا اتحاد الغرف الصناعية بدراسة مفادها "أن أسعار الخبز ستزداد نتيجة لزيادة تكلفة الإنتاج والترحيل" ومن قبل ذلك يصرح نائب رئيس البرلمان "أن القمح الموجود في البلاد يكفي لـ 25 يوماً". لاحظوا معي أن شركة سيقا - ذات الشأن الأكبر - لم تتحدث بعد! وذلك لأن شركات دال التي يديرها أسامة داؤود تحترم عقل المواطن ولا يمكنها أن تتعامل معه بالتخدير والمراوغة. وحسب موقع مجموعة دال على الإنترنت فإن عدد موظفي شركات دال يصل إلى 500.5 موظف. وتعتبر مرتبات شركات دال هي الأعلى في السودان. الحديث عن نجاحات الرجل لا ينتهي فقد سعى كثيراً إلى توطين زراعة القمح بالبلاد ولديه محاولات جادة لزراعة مليون فدان في الولاية الشمالية وقد قطعوا شوطاً كبيراً في ذلك المشروع الإستراتيجي الضخم بزراعة مساحات تجريبية كبرى مستخدمين الحزم التقنية المعروفة والبذور المحسنة وطرق الري الحديثة. ولا غرابة أن تُبذل كل تلك الجهود الجادة؛ فأسامة يرى أن الزراعة هي أهم الاستثمارات على الإطلاق وأن عوائدها مضمونة وسريعة. أما في مجال التنمية العقارية فقد كان طُمُوح الرجل أن يجعل الخرطوم إحدى أجمل العواصم في العالم. وفي سبيل تحقيق ذلك الحلم الكبير أسس (شركة السنط العقارية) ودخل في شراكة مع ولاية الخرطوم والصندوق القومي للضمان الاجتماعي. 400.000 م. وأن توفر تلك المنطقة فرص عمل لـ 58 ألف موظف. وأن يضم ذلك المشروع منطقة سكنية بها أكثر من ألف فيلا و6700 شقة، وأن يبني فيها عشرة فنادق ومستشفيات، ووسائل نقل وواجهة نهرية للنزهة تظللها الأشجار. وقد بدأ العمل في إنشاء تلك المدينة منذ العام 2005م. وشمخت بعض أبراجها وكان متوقع لها أن تكتمل في العام 2015م. بتكلفة تقديرية من أربعة إلى خمسة مليارات دولار. إلا أنني - كاتب المقال - لا أتوقع أن يكتمل هذا المشروع في موعده. لا سيما أنني شاهدت تصور هذا المشروع في مقطع للفيديو على الإنترنت. وقد انبهرت من جمال تلك المنطقة وروعته وأشجارها الخضراء السامقة التي تخلق الألباب وتجعلك تشعر أنك تشاهد إحدى أجمل مدن العالم. فشتان ما بين الطموح والواقع! وأنا أزعم أن أسامة قد بذل جهوداً جبارة لإكمال هذا المشروع العظيم ولكن شركاءه الحكوميين لم يوفوا بالتزاماتهم. وأكد أجزم أن هنالك عقبات سياسية كثيرة واجهت الرجل وحَدَّتْ من طموحاته الوطنية الكبرى. فلو كان هذا الرجل يعيش في إحدى الدول الغربية ووظف جهوده وطاقاته في تلك الدولة لوصلت ثروته أضعاف ما هي عليه الآن. ولكنه آثر أن يستثمر في بلده وأن يسعى لرفعة أهله مواجهاً الكثير من العقبات والتحديات. وأنا أعتبر أسامة داؤود إحدى مفاخرنا الوطنية التي تستحق الدراسة والاقتداء. وقد يكون في قصة نجاحه هذه إلهاماً لأحد رجال الأعمال المبتدئين. أو أحد الشباب الطموحين الذين يسعون إلى النجاح.